

مفهوم المواطنة في السياق الغربي المعاصر "يورغن هابرماس نموذجاً"

جلول خدة معمر- باحث بجامعة وهران 2

kheddadjelloul@gmail.com

التخصص: فلسفة

المشرف: عبد الحكيم صايم أستاذ التعليم العالي

جامعة وهران 2 - الجزائر

الملخص:

يجري الحديث في هذه الورقة البحثية حول "مفهوم المواطنة وما يرتبط به من أفكار مثل الحق والمساواة والحرية والديمقراطية في الفكر الفلسفي والسياسي الغربي المعاصر.

وقد تمّ التركيز في هذه الدراسة على تحليل وتوضيح مفهوم المواطنة عند الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، الذي يحتل مكانة في الصف الأول في هذا المجال الفلسفي إلى جانب الفيلسوف الأمريكي جون راولز، تأثراً بالبيئة الفكرية والسياسية والاجتماعية لعصرهما، وانخرط كل منهما بطريقته الخاصة في السجال الفلسفي حول المواطنة والحق والحرية. فلقد انخرط راولز في صياغة وبلورة مشروع سياسي أخلاقي بعنوان "العدالة"، وهو مشروع يندرج من الناحية الفلسفية في إطار التقليد الفلسفي الأمريكي المعروف "بالبراغماتية"، ومن الناحية السياسية والاجتماعية يعبر هذا المشروع عن مشكلة العدالة الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الأمريكي، أما هابرماس فقد انخرط في صياغة وبلورة مشروع سياسي اجتماعي بعنوان "التواصل"، وهو مشروع فلسفي يندرج في إطار التقليد الفلسفي الألماني المعروف "بالنظرية النقدية"، ومن الناحية السياسية والاجتماعية يعبر هذا المشروع عن السياق السياسي لألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية.

الكلمات الدالة: المواطنة، العدالة، الديمقراطية، جون راولز، يورغن هابرماس.

Abstract :

In This research paper, they are talking about « the concept of citizenship » and all the thoughts that are related to it like right, equality, freedom and democracy in contemporary Western philosophical and political thought.

In this education, They concentrate on the analysing and illustrating the concept of citizenship by the German philosopher Jürgen Habermas, who is the first in this philosophical field, beside the American philosopher « John Rawls », the two philosopher are influenced by the intellectual, political and social environment of their time, and engaged each in his own way in the philosophical debate about Citizenship, right and freedom. Rawls was engaged in the formulation and elaboration of a moral political project entitled "Justice", a project that falls within the philosophical framework of the American philosophical tradition known as "pragmatism". From the political and social point of view this project reflects the problem of social justice suffered by American society, He engaged in the formulation and elaboration of a social political project entitled "Communication", a

philosophical project that falls within the framework of the German philosophical tradition known as the "critical theory", and politically and socially reflect this project on the political context of Germany after the Second World War.

Keywords: Citizenship, Justice, Democracy, John Rawls, Jürgen Habermas

احتل مفهوم "المواطنة" مكانة أساسية في الفكر الفلسفي والسياسي الغربي المعاصر، من جهة كامتداد لنظرية العقد الاجتماعي والنظرية السياسية الكانطية، ومن جهة أخرى كمحاولة لتجاوز هذه النظريات واقتراح أنظمة جديدة تكفل تحقيق السعادة للإنسان في هذا الوجود.

وفي هذا السياق يمكن القول أن الفكر السياسي المعاصر انقسم إيديولوجيا إلى تيارين أساسيين، التيار الاشتراكي ويركز في فكره السياسي على ما أسماه الديمقراطية الاجتماعية التي تركز على فكرة المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، والتيار الليبرالي ويركز في فكره السياسي على ما أسماه الديمقراطية السياسية التي تركز على فكرة الحرية للمواطنين في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية والإعلامية، ولكن الغلبة رجعت إلى أنصار الفكر الليبرالي بعد سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، وهي الهيئات التي كانت تدعم الأفكار الاشتراكية المنحدرة من ماركس (K. Marx) وأنجلز (F. Engels) ولينين (V. Lénine) وغيرهم من المنظرين الاشتراكيين.

وقد كان سؤال "المواطنة" محل اهتمام وبحث وتحليل من طرف عدة فلاسفة معاصرين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كارل بوبر (K. Popper)* وجون راولس (J. Rawls)** (1921-2002) وهابرماس (Y. Habermas) (1929-...) وغيرهم، وذلك في سياق الأفكار المرتبطة بالمواطنة مثل أفكار الحق والحرية والمساواة والديمقراطية، ومعنى هذا أنه لا يمكن تحديد مفهوم المواطنة لدى هؤلاء بمعزل عن الأفكار المرتبطة به، وقد وقع اختيارنا في هذه الدراسة على تحليل وتوضيح مفهوم المواطنة عند رائد الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس لاعتبارات عديدة، فما المقصود بالمواطنة أولاً؟ وما هي نظرة هابرماس لهذا المفهوم؟

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمواطنة:

1-1 المفهوم اللغوي: « المواطنة في اللغة العربية تستعمل كترجمة للكلمة الفرنسية (Citoyenneté) المشتقة من مدينة (Cité) والمدينة بناءً حقوقي للمكان ومشاركة سياسية. وتقابلها بالإنجليزية (Citizenship) المشتقة من مفهوم المواطن (Citizen)، أي ذلك الفرد الذي تخاطبه القوانين والداستير الحديثة، بغض النظر عن الجنس أو الدين، أو العرق، أو الطبقة»¹.

وجاء في معجم لسان العرب لابن منظور «أنّ المواطنة مشتقة من وطن، والوطن: المنزل الذي تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلّه [...] ووطن بالمكان وأوطن أقام. وأوطنه: اتخذه وطنًا. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي

اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه، والمواطن مفعول منه، ويسمى به المشاهد من مشاهد الحرب، وجمعه مواطن، وفي التنزيل العزيز: «لقد نصركم الله في مواطن كثيرة، وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها، أي اتخذتها وطناً»².

وحدد جميل صليبا معنى المواطنة في معجمه الفلسفي بأنها «مشتقة من الفعل واطن، واطن القوم، عاش معهم في وطن واحد، ومنه المواطن، وهو الذي يتمتع بالحقوق التي يتمتع بها أبناء دولته ومدينته»³.

ومن خلال هذه التعريفات نلاحظ أنّ قواميس اللغة العربية تخلو من كلمة المواطنة، بينما تورد لفظ الوطن قاصدة به محل إقامة الإنسان ومقر انتمائه، وسبب غياب كلمة مواطن في اللغة العربية واللغات الأخرى كالفارسية والتركية كما يرى الباحث العربي أحمد مهران «قد يرجع إلى غياب فكرة المواطن كمشارك وفكرة المواطنة كعملية مشاركة»⁴.

1-2- المفهوم الاصطلاحي:

المواطنة في الاصطلاح هي "صفة للمواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه إلى وطن وأهمها واجب الخدمة العسكرية وواجب المشاركة في موازنة الدولة..."⁵.

وجاء هذا المفهوم في دائرة المعارف البريطانية بأنه "تلك العلاقة بين الفرد والدولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق"⁶.

كما ورد هذا المفهوم أيضاً في معجم المصطلحات السياسية «للاشارة إلى الوضع أو المركز القانوني الذي يحق للشخص بمقتضاه أن يتمتع بامتيازات وواجبات المواطنة الكاملة بالدولة، حيث يمكن أن يكتسب وضع المواطن من خلال عدة طرق...»⁷.

فالمواطنة عموماً تعني تلك «العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وهو ما يعني أن كافة أبناء الشعب الذين يعيشون فوق تراب الوطن سواسية بدون أدنى تمييز قائم على أي معايير تحكومية مثل الدين أو اللون أو الجنس أو المستوى الاقتصادي أو الانتماء السياسي والموقف الفكري»⁸.

ثانياً: إشكالية مفهوم المواطنة في الفكر الغربي المعاصر

إن دراسة حصيلة الفلسفة السياسية والاجتماعية والحقوقية للقرن العشرين تثبت أن الفيلسوف الأمريكي راولز والألماني هابرماس يحتلان مكانة في الصف الأول في هذا المجال الفلسفي، وهما فيلسوفان تأثرا بالبيئة الفكرية، والبيئة السياسية والاجتماعية لعصرهما، كل في سياقها، في الولايات المتحدة وألمانيا، وهما لاشك سياقان مختلفان، حيث انخرط كل واحد منهما بطريقة خاصة في السجال الفلسفي حول المواطنة والحقوق والحرية.

حيث انخرط راولز منذ 1971 في صياغة وبلورة مشروع سياسي أخلاقي بعنوان "العدالة"، وهو لاشك مشروع يندرج من الناحية الفلسفية في إطار التقليد الفلسفي الأمريكي المعروف بـ"البراجماتزم"، أما من الناحية السياسية والاجتماعية فإن عنوان هذا المشروع "العدالة" يعبر عن أهم مشكلة يعاني منها المجتمع الأمريكي، ألا وهي مشكلة العدالة الاجتماعية.

أما هابرماس فانخرط في صياغة وبلورة مشروع سياسي اجتماعي بعنوان "التواصل"، وهو مشروع فلسفي يندرج في إطار التقليد الفلسفي الألماني المعروف بـ "النظرية النقدية"، أما من الناحية السياسية والاجتماعية فإن هذا المشروع يعبر عن السياق السياسي والاجتماعي لألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد سقوط جدار برلين، حيث أضحت ألمانيا قبله للنازحين من قارتي آسيا وإفريقيا وحتى من أوروبا الشرقية نتيجة تدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية والأمنية في العديد من دول هذه القارات، وذلك نظرا لما يوفره المناخ الاقتصادي والسياسي والحقوقى فيها من امتيازات، ولهذا كانت قضية الاندماج الاجتماعي والتعايش بين مختلف مكونات المجتمع الأوروبي المعاصر أهم محاور الفكر السياسي لدى هابرماس.

وفي هذا السياق يمكن القول أن هابرماس قبل أي شيء هو مثقف ورجل التزام اتخذ من الخطاب الفلسفي أساسا لمشاريعة المعرفة والسياسية والاجتماعية، تميز تفكيره بالعمق والتجديد، واشتهر بسجلاته الفلسفية مع العديد من الفلاسفة المعاصرين له، وتتميز بغزارة الإنتاج الفلسفي، ومن أشهر أعماله التي تندرج في إطار الفكر السياسي أو لها علاقة به نجد: "الفضاء العمومي"، و "نظرية الفاعلية التواصلية"، و "الحداثة وخطابها السياسي"، و "الحق والديمقراطية" وغيرها. ويعد عمله الأساسي "القانون والديمقراطية" الذي أصدره سنة 1992 من أهم أعماله السياسية التي نشرها في الفترة الأخيرة من مسيرته الفكرية، حيث يندرج ما ورد في هذا العمل في إطار التفكير الواسع والمعمق حول تجديد مبادئ الممارسة السياسية ودور الحقوق وسؤال العدالة في الفكر السياسي المعاصر، حيث تمحور هذا الكتاب حول مواضيع عديدة مثل: العلاقة بين الحق والواجب والعلاقة بين حقوق الإنسان والسيادة الشعبية والدور المركزي للتواصل في الديمقراطية الجماعية.

وقد اشتهر هابرماس بنقده الشديد لأفكار رولس الليبرالية في إطار السجال الفلسفي الذي جرى بينهما، وهذا ما أشار إليه الباحث العربي سيدي محمد ولد يب في عمله "الدولة وإشكالية المواطنة"، حيث قال: « إن راولز يتبنى بحسب هابرماس موقفا ليبراليا كلاسيكيا للمواطنة، وهذا الموقف يؤكد على أولوية الحقوق الذاتية الخاصة على الحقوق السياسية [...]، وطبقا لهذه النظرية تتصور حقوق الإنسان والدستور على أنها بمثابة إكراه خارجي موجه ضد السيادة الشعبية، وقد اعتبر هابرماس أن الليبرالية السياسية عاجزة عن إيجاد تصور مرض للمواطنة »⁹.

ثالثا: بين هابرماس وراولز:

وفي هذا المجال قام الباحث الأكاديمي الكندي بجارن ميلكوفيك* (Bjarne Melkevik) بإجراء مقارنة فلسفية قارن فيها بين موقف راولس وهابرماس حول مختلف القضايا الفلسفية السياسية الراهنة، حيث أشار في عمله الهام (راولز أو هابرماس، سؤال في فلسفة الحق) إلى الكثير من أوجه التقاطع والاختلاف بين فكري الفيلسوفين، وفي هذا الإطار يقول عن التماثل والتشابه الموجود بين فكري الفيلسوفين في المجال السياسي: « إن المقارنة بين راولز وهابرماس تكشف عن الكثير من التقاطعات من جهة، وكثير من الاختلافات من جهة أخرى، إن التقاطع أو التشابه بين الفيلسوفين يتمثل في كون أن كل منهما انخرط في مسار لتجديد الفلسفة وخاصة الفكر السياسي، وأعطيا بذلك توجهها

جديدا لهذا الفكر، حيث تميز تفكيرهما بالأصالة والثراء، وكان لهما تأثير كبير في الفلسفة السياسية المعاصرة، ويمكن اعتبار الخلاف بينهما تكاملا، حيث أثار كل واحد منهما ما أهمله الآخر»¹⁰.

أما عن الاختلاف بينهما فيقول ميلكوفيك: «إن من أبرز أوجه الخلاف بينهما هو أن راولز كانت له خلفية دينية بروتستانتية، وهذا الأمر لا نلاحظه بالنسبة لهابرماس رغم اهتمامه كثيرا بالثيولوجيا»¹¹، ويضيف قائلا: «والفرق الآخر بين الفيلسوفين يتمثل في كون السياق الذي انطلق منه راولز هو سياق الفلسفة النفعية المسيطرة على الفكر الأمريكي، وانصب اهتمامه وتركيزه في فلسفته خاصة على المفاهيم الأخلاقية والإتيقية، بينما انطلق هابرماس من السياق الفلسفي لمدرسة فرانكفورت التي كانت تسيطر على الفكر الألماني، وانصب اهتمامه وتركيزه في الفلسفة السياسية خاصة على المفاهيم السياسية والديمقراطية»¹².

ويواصل ميلكوفيك عرض أوجه الخلاف بين راولز وهابرماس في الفكر السياسي قائلا: «إن راولز أولا وقبل كل شيء فيلسوف أخلاقي حاول البحث في أساس الأخلاق واعتبار الفكر السياسي فرعاً من الفكر الأخلاقي، وعلى العكس من ذلك نجد أن هابرماس اهتم بمفهومي السياسة والديمقراطية باعتبارهما مفهومين سياسيين وسلوكيين إنسانيين، واعتبرهما أساسين لصياغة وتحديد معايير الحقوق والقوانين»¹³.

كما أشار هذا الباحث إلى الانتقادات العديدة التي وجهها هابرماس لراولز في إطار السجال الفلسفي الذي جرى بينهما سنة 1995، ويقول في هذا الشأن: «يرى هابرماس أن نظرية راولز هي نظرية مفلسة ولا معنى لها، لأن النموذج السياسي والديمقراطي الذي يقترحه راولز لا يسمح لجميع المواطنين بالمساهمة في النشاط السياسي، فراولس قدم مفهومًا محدودًا للديمقراطية، وهو مفهوم يعبر عن الواقع الموجود في الدول الليبرالية المعاصرة، وبالتالي ما هو إلا تأكيد لفكر المركزية الغربية»¹⁴، كما أشار هذا الباحث إلى أن هابرماس لم يقف عند حد نقد راولز بل قام باقتراح بدائل جذرية لمشكلة النظام السياسي الديمقراطي، حيث يقول في هذا المجال: «في نقده لراولز اقترح هابرماس مفهومه الخاص للديمقراطية، وهي حسب ما يمكن تحديدها بمشاركة جميع المواطنين في مناقشة القضايا السياسية التي تخص المجموعة الاجتماعية، ويربطها بالفضاء العمومي الذي يضمن تبادل موسع للحجج من أجل تأسيس إرادة جماعية عن طريق التواصل، فحسب هابرماس فإن الديمقراطية تركز على حق المشاركة للجميع دون انحياز لجهة أو إقصاء لجهة أخرى»¹⁵.

ومجمل القول حول السجال الفلسفي السياسي بين هابرماس وراولز، أنّ نقد هابرماس لراولز تركّز على الأساس الأخلاقي الذي وضعه هذا الأخير لنظريته السياسية والاجتماعية المعروفة بـ"العدالة" واعتبرها مجرد نظرية أخلاقية أكثر منها نظرية سياسية، وأن هابرماس حاول أن يعطي مفهوما جديدا وراديكاليا للديمقراطية والمواطنة من خلال نظريته التواصلية، فكيف يمكن إذن - حسب هابرماس - إيجاد قاعدة أو معيار أو قانون، يوفق بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية في آن واحد؟ وكيف يمكن لمواطنين مختلفين في مجموعة سياسية واحدة التعايش أو العيش معا؟ .

لقد حاول هابرماس الإجابة عن هذه التساؤلات في مختلف أعماله المتعلقة بالفلسفة السياسية متحدثاً عن مواطنة تتجاوز النزعة الوطنية الضيقة "الدولة-الأمة"، وتتجاوز أيضاً النموذج الليبرالي للمواطنة، ومن أهم ما قاله في هذا الشأن: « إن المناقشة حول التعددية الثقافية أدت بالفعل إلى مراجعة النموذج الكلاسيكي للمواطنة [...] لا ينبغي أن يغيب عن ناظرنا بأن المواطنين هم أشخاص لهم هويات فردية نمت وترعرعت وسط تقاليد معينة، وفي أوساط ثقافية نوعية، لذا فإنه يتوجب أن نضع في اعتبارنا بأن هؤلاء الأشخاص هم في حاجة إلى هذه التقاليد حتى يتمكنوا من الحفاظ على هوياتهم، وفي حالات خاصة، يمكننا أن نوسع من حاضنة الحقوق المدنية حتى نتمكن من تلقيحها بالحقوق الثقافية، فهذه الحقوق تسمح للمواطنين جميعهم، وبمساواة تامة، الانتماء إلى جماعة ثقافية معينة تمكنهم من اختيار هوياتهم وإرسائها بكل حرية »¹⁶، ويرجع هابرماس الأمر إلى المواطنين أنفسهم حيث يضيف قائلاً: « إن الكلمة الأخيرة هنا تعود للمواطنين أنفسهم، فهم وحدهم من يقدر على تحديد التوجهات الأساسية التي ينوون التحرك باتجاهها جماعياً »¹⁷.

رابعا: مفهوم المواطنة عند هابرماس:

ولقد كان موضوع "المواطنة" عند هابرماس محل بحث وتحليل وتقييم ونقد من طرف كثير من الباحثين الغربيين والعرب على السواء، نظراً لأهمية الأفكار الجديدة والثورية التي يطرحها فيما يسميه مشروع "الديمقراطية الدستورية"، ومنهم الباحث الفرنسي ألكسندر ديبيريكس (Alexandre Dupeyrix) في أطروحته المتميزة بعنوان "مفهوم المواطنة عند هابرماس" حيث يقول: « إن نظرية المواطنة عند هابرماس ليست فكرة تجريدية خالصة، وإنما هي نظرية إجرائية، عمل هابرماس على تطويرها انطلاقاً من فكر الأنوار وأعطى لها معنى خاص يتناسب مع نظريته التداولية العالمية في التواصل »¹⁸، ويضيف قائلاً: « إن النظرية الإجرائية لهابرماس تتضمن مشاركة قوية للمواطنين في الإجراءات والمناقشات الديمقراطية، وهذا يفترض فضاءات عمومية ديناميكية يعبر من خلالها المواطنون على مبادراتهم، وهذا النموذج الديمقراطي لا يمكن نجاحه إلا بتوفر إرادة قوية »¹⁹.

وخلاصة ما توصل إليه هذا الباحث هو أن المواطنة عند هابرماس هي مواطنة عملية (إجرائية)، ومواطنة ما بعد وطنية (كوسمولوجية).

ومن الباحثين العرب في مفهوم المواطنة عند هابرماس نجد سيدي محمد ولد يب الذي لخص هذا المفهوم بقوله: « يعتقد هابرماس أن النزعة الوطنية الدستورية، بوصفها تعبيراً عن هوية سياسية ما بعد وطنية، ستكون هي الطريق التي ستسير عليها معظم الدول »²⁰، ويبرر هابرماس موقفه هذا - حسب الباحث - بالتغيرات التي حدثت في العالم قائلاً: « هذه الإستراتيجية أصبحت ضرورية بفضل عولمة الأسواق وضياع سيطرة الدول على اقتصادها، إضافة إلى أنّ أركان الدولة الكلاسيكية، السيادة الخارجية والداخلية، غدت أكثر هشاشة »²¹، والمقصود بذلك الأمر الواقع الذي فرضته العولمة، ولهذا يرى هابرماس أن الحل لمواجهة الأخطار التي تهدد المواطنة هو: « لا يمكن أن يركز حل مواجهة العولمة إلا على وسائل عمل سياسي على المستوى العالمي، وعلى تشكيل مواطنة ديمقراطية وشبكة تواصل بين مواطنين

تتعدى الحدود الوطنية، أو بعبارة أخرى لا بد من تأسيس فضاء عمومي متعدد للحدود الوطنية [...]. وترعاه حركات اجتماعية "منظمات للمواطنين وحركات مدنية" معبأة سياسيا ضمن المجتمع المدني²².

وهذا ما أكدته أيضا الباحثة العربي حسن مصدق حين قال: « يقترح هابرماس شروط مواطنة عالمية - في عصر العولمة - تتعدى حدود الأوطان والنظرة الشوفينية الضيقة للجنس واللون والثقافة، ويعتبر أن المواطنة الإنسانية يجب أن تقوم على حقوق عالمية للفرد تتخطى فيه حدود السيادة الوطنية لتشمل الكوكب، ومهام إنجاز ذلك تتوقف على حركات المجتمع المدني المناهضة للاستبداد وعدم احترام حقوق الإنسان وضد الميز العنصري والتوزيع الدولي الجديد للعالم بزعامة القطب الواحد²³ ».

كما أشار الباحث العربي الآخر علي عبود المحمداوي إلى مفهوم المواطنة عند هابرماس بكيفية أوضح حين قال: « إن النموذج المطروح من قبل هابرماس، للانتقال من حيز المواطنة القومية إلى العالمية، يعد تمثيلا مناسباً وفي محله، إذ أن الحقوق والواجبات وهما المبدأان الأوليان للذات يتشكلان عنده بأطروحة حقوق الإنسان العالمية، وبإضفاء مبدأ المشاركة يكون الوجه الآخر للنظرية قد اكتمل، لأن المشاركة على مختلف الصعد، ولاسيما السياسية منها، تشكل لب وجوهر المواطنة الفعالة²⁴ »، ويضيف قائلاً بشأن فكرة المواطنة العالمية عند هابرماس: « تمثل الاهتمامات الفلسفية لهابرماس بمسألة الديمقراطية في بعدها الكوني، أو ما يسميه ديمقراطية المواطنة الكونية، امتداداً لأبحاثه حول مستقبل الديمقراطية فيما بعد الدولة-الأمة، كما تعد أيضاً تطويراً لنموذج الديمقراطية التشاورية في فضاء عمومي كوني، وهو المشروع الذي يعتبره هابرماس إجابة عن التحديات الراهنة التي تواجه الإنسانية على الصعيد العالمي²⁵ ».

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر ما أشار إليه الباحث الجزائري فارج مسرحي من خلال مقال له حول المواطنة تحت عنوان "المواطنة من الفكرة إلى الفعل" قائلاً: « بأنّ مسايرة التطور السياسي الحاصل في المجتمعات الغربية المعاصرة جعلت بعض الفلاسفة ينظرون لمضمون جديد للمواطنة على غرار دعوة هابرماس ل: مواطنة ما بعد الوطن Citoyenneté post nationale، أو المواطنة الكونية التي أصبحت واقعا معاشا منذ تأسيس الاتحاد الأوروبي²⁶ ».

خاتمة:

على ضوء ما سبق يمكن القول أنّ مفهوم المواطنة لم يولد مكتمل المعالم والأبعاد، بل مرّ في تكوينه وتطوره بالكثير من المراحل التاريخية إلى أن استقر في الفكر السياسي المعاصر كمفهوم تاريخي شامل ومعقد ذو أبعاد عديدة ومتنوعة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى المواطنة مبدأ نسبي التحقق والتجسيد وتختلف درجة تجسيده من مجتمع لآخر ومن عصر لآخر.

ويمكن القول أيضاً أنه إذا كان الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس يقول عن مشروع الحداثة "أنه مشروع لم ينجز بعد"، فإننا نستطيع أن نقول أيضاً أن "مشروع الديمقراطية التشاورية والمواطنة الكونية لهابرماس، هو مشروع لم ينجز بعد"، خاصة بعد التراجع الذي حصل في النموذج التطبيقي (الاتحاد الأوروبي) بانسحاب بريطانيا منه وتهديد كثير من

الأحزاب اليمينية في أوروبا بالخروج من عضويته في حال وصولها إلى الحكم، وتعذر انضمام تركيا له لأسباب دينية، وهو النموذج الذي كان يعتبره هابرماس تطبيقاً لفلسفته السياسية، وكذلك تبخرت أحلام هابرماس في أن تصبح هيئة الأمم المتحدة حكومة عالمية تعمل على ترسيخ فكرة المواطنة العالمية بسبب افتقارها للقوة والسلطة التي تمكنها من تحقيق الأهداف التي أنشأت من أجلها، وهي الهيئة التي كان يعلق عليها هابرماس آمالاً كبيرة لتجسيد أفكاره السياسية على أرض الواقع.

وينبغي الإشارة في نهاية هذا المقال إلى أنه مهما كانت الانتقادات الموجهة إلى نظرية هابرماس، فإنها لا تقلل من أهمية أفكاره السياسية أو مشروعته الفكري بصفة عامة، فهو مشروع يواكب الأسئلة المعقدة التي يطرحها الإنسان المعاصر على غرار سؤال الحداثة والمواطنة والتواصل.

الهوامش:

* - كارل بوبر (1902 فيينا - 1994 لندن)، مؤسس العقلانية المعاصرة، يصنفه الباحثون في المجال الفلسفي على أنه فيلسوف انجلوساكسوني رغم الاختلاف الكبير بينه وبين فلاسفة التحليل والوضعية المنطقية والبراهاتزم في العديد من القضايا الفلسفية، من أشهر أعماله: "منطق الكشف العلمي"، الذي عرض فيه مشروع الاستمولوجي، و"المجتمع المفتوح وأعداؤه"، الذي عرض فيه مشروع السياسي الليبرالي، حيث يصنف بوبر على أنه فيلسوف ليبرالي محافظ.

** - جون راولز: جون راولز: فيلسوف أمريكي (1921 - 2001) من أهم المنظرين للعدالة، أصدر عام 1971 كتاباً شهيراً في هذا الإطار أسماه "نظرية في العدالة"، نال به شهرة جعلته أحد ألمع أعلام الفلسفة المعاصرة. وأثارت نظرية العدالة نقاشات كبيرة، وكتبت حولها العديد من الكتب والمقالات.

1 - أبو المجد عبد الجليل، مفهوم المواطنة في الفكر العربي الإسلامي، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2010، ص 11.

2 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968، المجلد 13، (د.ط)، ص 451.

3 - صليبا جميل، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 439.

4 - مهران حمدي، "المواطنة والمواطن في الفكر السياسي"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2012، ص 68.

5 - موسوعة السياسة، أسسها د/ الكيلاني عبد الوهاب ومدير تحريرها نعمة ماجد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 6، ط 5، 1995، ص 37.

6 - إبراهيم رضا عطية، المواطنة والانتماء وأثرهما على الدولة والمجتمع والأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 23.

7 - إبراهيم رضا عطية، مرجع سابق، ص 23.

8 - نسرين عبد الحميد نبيه، مبدأ المواطنة بين الجدل والتطبيق، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر (د.ط)، 2008، ص 14.

9 - ولد يب سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2012، ص 101.

* هو باحث أكاديمي كندي من جامعة لافال Laval بمقاطعة الكيبك الكندية، وأستاذ زائر بعدد من الجامعات الفرنسية والعالمية، اشتهر بمقارباته الفلسفية العديدة حول فكري راولس وهابرماس، من أشهر أعماله في هذا المجال: Rawls ou Habermas, une question de philosophie de droit.

¹⁰ - Melkevik Bjarne, Rawls ou Habermas, une question de philosophie de droit, Collection Dike, les presses du l'université Laval, 2001, p, 17.

¹¹ - Ibidem.

¹² - Ibidem.

¹³ - Ibidem.

¹⁴ - Melkevik Bjarne, Rawls ou Habermas, une question de philosophie de droit, Op.cit, p, 29.

¹⁵ - Ibid, p, 30.

¹⁶ - هابرماس يورغن، إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، تر عمر مهييل، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص، ص، 44، 45.

¹⁷ - المرجع نفسه، ص، 49.

¹⁸ - Dupeyrix Alexandre, La conception de la citoyenneté chez Habermas, thèse de doctorat, soutenue le 05/12/2005, Université Lyon 2, p, 320.

¹⁹ - Ibid, p, 323.

²⁰ - ولد يب سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة، مرجع سابق، ص، 105.

²¹ - المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

²² - المرجع نفسه، ص، 106.

²³ - مصدق حسن، النظرية النقدية التواصلية: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، دت، ص، 263.

²⁴ - المحمداوي علي عبود، الإشكالية السياسية للحدثة: هابرماس أنموذجا، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص، 328.

²⁵ - المرجع نفسه، ص، 329.

²⁶ - مسرحي فارح، المواطنة من الفكرة إلى الفعل، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر، جامعة حسينة بن بوعللي بالشلف، دار التل للطباعة، الجزائر، العدد السادس، ديسمبر 2016، ص 49.